

السنة الثانية ماستر تاريخ الجزائر الحديث

مقياس العلاقات الجزائرية الأوربية-02-

أ.د/ عمر بوضربة

محاضرة: العلاقات الدولية للجزائر في التاريخ الحديث(01)

**مقدمة:**

اكتسبت الجزائر في الفترة الحديثة مكانة دولية مرموقة بفضل العلاقات المتشعبة التي ربطتها بمختلف دول العالم عربية إسلامية كانت أو مسيحية غربية، فما هي أهم معالم السياسة الخارجية للجزائر في الفترة العثمانية؟ وفيم تمثلت سياستها الخارجية تجاه البلدان العربية والإسلامية؟ وكذا تجاه الدول الغربية المسيحية؟ وما مظاهر هذه العلاقات خاصة مع دول الغرب المسيحي؟

**1- مفهوم العلاقات الدولية:** هي علاقات تتميز بأن أطرافها أو وحداتها السلوكية هي وحدات دولية، أو هي تفاعلات ثنائية الأوجه أو تفاعلات ذات نمطين، النمط الأول نمط تعاوني سلمي أما النمط الثاني فهو صراعي عدائي مسلح، ويغلب النمط الثاني على التفاعلات الدولية برغم سعي الدول لإخفاء هذه الحقيقة أو التنكر لها، لذلك نجد بأن نعظم التحليلات والنظريات في العلاقات السياسية الدولية تركّز كلّها على النمط الصراعي انطلاقا من دراسة دوافع ومحددات مثل القوة والنفوذ والمصلحة فضلا عن الدوافع الشخصية.

ويهتم بدراسة هذه العلاقات علم العلاقات الدولية الذي يعتبر فرعا من فروع العلوم السياسية والذي يهتم بدراسة كل الظواهر التي تتجاوز الحدود الدولية، علما أنه لا يقتصر على دراسة وتحليل الجوانب أو الأبعاد والمظاهر السياسية فقط في العلاقات الدولية بين الدول، وإنما يتعدّها إلى مختلف الأبعاد الاقتصادية والعقائدية والثقافية والاجتماعية.. الخ.

كما أنه لا يقتصر على دراسة وتحليل العلاقات بين الدول وحسب وإنما يتعدّها لدراسة مختلف الأشكال التنظيمية سواء كانت تتمتع بالشخصية القانونية الدولية أو لا تتمتع. (للمزيد ينظر: جمال سلامة، أصول السياسة - اقتراب واقعي من المفاهيم والمتغيّرات، دار النهضة العربية، القاهرة، 2013، و أيضا: نفس المؤلف، تحليل العلاقات الدولية، دراسة في إدارة الصراع الدولي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2012).

**2- خصائص سياسة الجزائر الخارجية في الفترة الحديثة:**

عند الحديث عن خصائص سياسة الجزائر الخارجية في الفترة العثمانية ينبغي أن نأخذ في الحسبان جملة من الاعتبارات نلخص أهمها في النقاط التالية:

- أن هذه السياسة تبلورت نتيجة عدّة عوامل خارجية بالخصوص كان أهمها الظروف التي استتجد فيها الجزائريون بالإخوة ببربروس، ثم إحاق الجزائر بالخلافة العثمانية، وهو ما سيولّد روابط الولاء للسلطة العثمانية والتضامن والتعاون بين الجزائر ودولة الخلافة، وهو تفاعل تعاوني سلمي متبادل.

- تعرّض الجزائر وكل بلدان المغرب الإسلامي لمخاطر الغزو المسيحي الإيبيري الإسباني والبرتغالي، بهدف احتلال المنطقة وتحويلها إلى النصرانية "الكاثوليكية"، خاصة بعدما توحدت إسبانيا سياسيا على إثر الزواج الملكي بين فيرديناند وإيزابيلا الكاثوليكية واستكملت إسبانيا حروب الاسترداد بالقضاء على آخر إمارة إسلامية في الأندلس إمارة بني الأحمر بغرناطة 1492م، وما تبعها من حرب إبادة في حق مسلمي الأندلس "الموريسكيين"، وفي هذا الإطار جاءت التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية التي بدأت في احتلال المدن الساحلية الجزائرية انطلاقا من الغرب (المرسى الكبير 1505، وهران 1509) وصولا إلى أقصى الشرق (عنابة 1510م)، وقد وجدت إسبانيا في الدول المسيحية بزعامة البابوية سندا قويا لها في حربها ضد الجزائر وبقية بلدان المغرب الإسلامي، لذا فقد تحدّدت علاقات الجزائر بإسبانيا والدول الحليفة لها في إطار العداء والصراع والقطيعة، واستمر هذا الصراع بين الجزائر وإسبانيا خصوصا ما يقرب من 300 سنة (كتاب: احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا).

- استطاعت الجزائر بفضل الدعم العثماني أن تؤسس لقوة بحرية معتبرة أصبحت تشكّل أساس قوّة ونفوذ الجزائر في الحوض الغربي للبحر المتوسط؛ ممّا جعلها تشكّل عامل تأثير قوي في المنطقة بحيث أصبحت قادرة على ردّ حملات الدول المسيحية الكبرى مثل إسبانيا؛ ولم تعد تكتف البحرية الجزائرية بردّ العدوان فقط بل أصبحت تستهدف أساطيل الدول المعادية في البحر وتهاجم سواحل بعض هذه الدول، كلّ هذا أكسب الجزائر مكانة دولية مؤثّرة، فأصبحت الدول الأوروبية والولايات م الأمريكية تسعى لربط علاقات ودية معها من أجل تأمين حركة سفنها وأساطيلها في المتوسط، وتجسّد ذلك من خلال إرسال المبعوثين الدبلوماسيين وتوقيع معاهدات صداقة وتجارة، تلتزم فيها هذه الدول بدفع إتاوات سنوية وهدايا قنصلية متنوعة مقابل أن تمنحها الجزائر حق التمثيل القنصلي فيها وتؤمّن سفن هذه الدول.

- سمحت الوضعية المتفوقة للجزائر في البحر المتوسط بفضل قوتها العسكرية البحرية ومناعة تحصيناتها منحتها وضعية المتفوق لذا أصبحت تملّي شروطها على غيرها من الدول فلذا أصبحت الدبلوماسية الجزائرية تركز على مبدئين أساسيين:

الأول: كل دولة لا تعقد معاهدة صداقة وسلام تعتبر في وضع حرب مع الجزائر.

الثاني: لا يصادق على أي معاهدة لا تعترف بتفوق الجزائر.

- تجلّى اعتراف الدول الغربية بذلك التفوق الجزائري بتعهدها والتزامها بدفع الضرائب السنوية والهدايا بإيرامها للاتفاقيات والمعاهدات. مقابل نيل ضمانات شتى مثل تأمين تجارتها في الحوض المتوسط، واعتماد التمثيل الدبلوماسي للسهر على مصالح دولهم وجالياتهم، وحقوق رعاياهم القضائية والدينية. (عائشة غطاس: "نظرة حول تقييم بعض المصادر الغربية لسياسة لجزائر الخارجية خلال العهد العثماني"، مقال في مجلة الدراسات التاريخية، العدد 5،)

- تجلّى التأثير العثماني قويا في رسم معالم السياسة الخارجية للجزائر خاصّة في المرحلة الأولى (البابايلربايات والباشوات خصوصا) فالجزائر لم تكن لتعادي أصدقاء الدولة العثمانية ولم تكن لتصادق من هو عدو للدولة العثمانية، وهو أمر منطقي في ظل ظروف دولية تميّزت بالتكتل والاصطفاف في إطار تكتلين كبيرين هما: الأول التكتل المسيحي الأوربي الغربي بزعامة إسبانيا والبرتغال وبمباركة البابوية والذي يضمّ معظم الدول المسيحية الأوربية، أمّا التكتل الثاني فهو إسلامي تقوده الدولة العثمانية ويضمّ الأمم العربية والإسلامية وكانت الجزائر ضمنه (مولود ق.ن بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية، ج 2).